اهالي المدينة يعرضون مبالغ مالية لإعادة ترميم ما دمر

تحول في الشارع السامرائي ضد الارهاب بعد جريمة استهداف المئذنة

سامراء : عبد الله محمد

سخط عارم وادانة من الجميع والكل ينظر إلى تفجير المئذنة بعين الاسى والغضب. ومع ذلك فهذه المئذنة الحلزونية بقيت شامخة على الرغم من الجرح البالغ في قمتها الشامخة. ان عمود الدخان الذي احدثه التفجير كان اشبه برسالة بعثها التاريخ يقول فيها انه مهدد ايضاً.

***هيئة الآثار: الأضرار كانت في قمة المئذنة وبعرض اربعة أمتار**

***ما العلاقة بين برج بابل ومئذنة سامراء؟**

***شائعات تدور في المدينة تؤكد ان ارهابيين احدهما افغاني قاما بتفجير العبوة الناسفة**

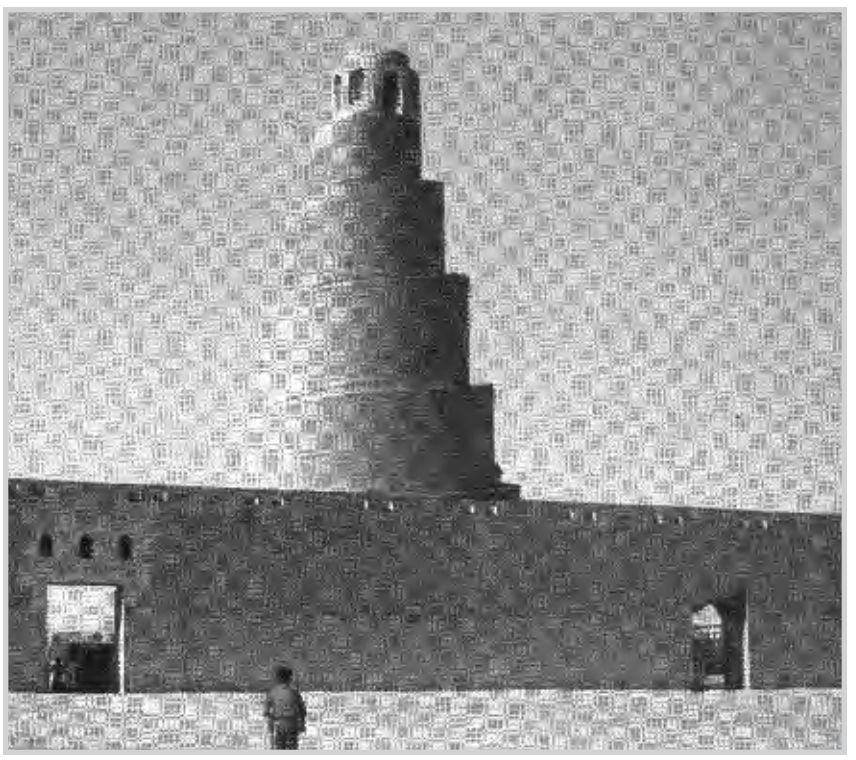

التاريخ لا يمحى بعبوة

"ان هذا العمل الدنيء لا يقوم به إلا فاقد لادنى متطلبات المواطنة والدين والانسانية. فاي عقلية هذه التي تفجر التاريخ بعبوات ناسفة من مخلفات النظام المباد. ان التاريخ الاسلامي لمدينة سامراء لا يمكن ان يمحى بعبوة حتى بقنبلة ذرية، فالعالم يعرف بان سامراء كانت في يوم من الايام عاصمة للخلافة العباسية وعاصمة لامبراطورية امتدت من الشرق إلى الغرب" بهذه الكلمات الممزوجة بالمرارة والغضب قال لنا آمر فوج حفظ النظام في المدينة. وواصل حديثه "ان هذا الحدث الجسيم كان له وجه آخر، فأهالي سامراء قد وقفوا صفاً واحداً ضد الارهاب والارهابيين بعد ان تكشفت النيات الخبيثة لهذه الحثالة التي تدعي الاسلام والجهاد زوراً وبهتاناً، فبعد ان كانت مطاردة من قوات الحرس الوطني والشرطة اصبحت بعد اقترافها "جريمة الملوية" مطاردة من كل اهالي سامراء من شبابها وشيوخها حتى نسائها. والامور قد وصلت بهؤلاء الارهابيين إلى حدود وخطوط حمر لا يمكن لهم ان يتجاوزوها بحال من الاحوال".

لم يشيدها جورج بوش!

ونسأل ابو مروة الذي يعمل بائعاً في احد متاجر المدينة عما انتابه من احساس لحظة تفجير قمة المئذنة فيجيب بألم:

(ان الذي اعرفه بان هذه المئذنة هي من واضخم العمائر الاسلامية، وشاهد شاخص للعيان يتبدى للرأي عن بعد عشرات الكيلومترات. وكذلك الذي اعرفه بان المئذنة الملوية وجامعها الكبير قد شيدا في زمن الخلفاء العباسيين ولم يشيدهما اياد علاوي او احمد الجلبي او غازي الياور.. وبالطبع لا علاقة لجورج بوش بها.

هذه المئذنة اصبحت هوية مدينة سامراء ورمزها على مدى عصور. فاستغرب واستهجن من قام بمثل هذه الجريمة الشنعاء التي ليس لها ما يبررها على الاطلاق إلا القول: ان هناك زمراً اجرامية مدفوعة من خارج البلد اوكلت اليها مهمات التخريب والعبث بامن المواطنين جميعاً من الشمال إلى الجنوب، وان هذه الزمر الخبيثة ادوات يتلاعب بها ويوجهها اناس يكنون للعراق والعراقيين اشد العداء، وإلا كيف لنا ان نفسر هذا العمل الاجرامي الذي اقل ما يوصف بانه عمل غاية في القذارة، وان من قاموا به في غاية الغباء لأن جريمتهم هذه سوف تجعلهم مطلوبين من الجميع، والقبض عليهم صار امنية وغاية لكل من يقطن مدينة سامراء. ولا اعتقد بانهم سوف ينجون بفعلتهم سوف نقبض عليهم قريباً اقول ذلك وانا متأكد بانه خلال ايام قليلة سيلقى القبض على الجناة الاوغاد ومن قبل الأهالي انفسهم".

السيد سهيل السامرائي نائب رئيس المجلس البلدي التقيناه في مبنى قائممقامية المدينة فوصف لنا جريمة تفجير المئذنة بالقول:

(انها جريمة بحق التاريخ نفذها رعاع واوغاد مرتزقة مقابل اجور لكننا سوف نطاردهم ونقتص منهم حتماً. ان مئذنة سامراء ملك للتاريخ والاسلام والانسانية. وان الجريمة مست الجميع واشعرتهم بالاسى والألم المضن ولم تكن مقتصرة على اهالي مدينة سامراء وحدهم فهذا الاثر التاريخي الاسلامي يخص جميع العراقيين والمهتمين بتاريخ حضارات العالم.)

ويشاطره الرأي السيد محمود السامرائي قائممقام مدينة سامراء فيذكر بانه قد انتابه الحزن الشديد وان الاضرار التي احدثها التفجير في قمة المئذنة شعر وكأنه قد امتد إلى جسده فاحدث فيه جرحاً مؤلماً.

دائرة صيانة آثار مدينة سامراء لم تكن بعيدة عن بناية المجلس البلدي فالمسافة بينهما يمكن قطعها مشياً على الاقدام.

كنت قد اعددت العدة لزيارة الحاج حافظ الحيالي مدير آثار محافظة صلاح الدين، وهو آثاري مختص وضليع بالآثار الاسلامية في مدينة سامراء، سبق لي ان التقيته من اجل اعداد تحقيق حول ما آصاب الآثار الاسلامية في المدينة من جراء العمليات الحربية العسكرية ابان سقوط النظام، ولكن عند وصولي إلى دائرة صيانة الآثار وسؤالي عنه اجابني الحارس بان الحاج حافظ غير موجود وقد ذهب بمهمة إلى بغداد فطلبت منه ان يفتح لي الباب المقفل لكي يتسنى لي لقاء احد معاونيه او أي موظف مختص بالآثار، لكنه اعتذر واجابني بان المفاتيح مع حارس آخر قد ذهب هو الآخر في مهمة. وفي داخل دائرة الآثار، وهي دائرة مترامية الابعاد ومسورة من جميع جهاتها، وباقي الموظفين منتشرون يؤدون اعمالهم في اماكن متفرقة.

فاغتنمت الفرصة بعد ان اوليت الحارس وبابه المقفل ظهري ورحت اشخص النظر بجرح المئذنة الدامي حقاً.

المئذنة مخروطية الشكل وقائمة على قاعدة مربعة طول ضلعها ٣٢م وارتفاعها بالكامل يبلغ ٥٢م. ويقال ان ارتفاعها كان يبلغ ٦٥م بعد ان كانت تنتهي بقبة يعتقد بانها قد درست بفعل عامل الزمن. يتحتم على الذي يريد ارتقاءها ان يتجه إلى الضلع الجنوبي للقاعدة والمقابل للجامع الكبير الذي تشرف عليه المئذنة ليدور حول محورها وباتجاه معاكس لدوران عقرب الساعة خمس مرات لكي يصل إلى قمتها الاسطوانية، التي يبلغ ارتفاعها ستة امتار فيدخلها من باب يفضي إلى سلم حلزوني لكي يصل إلى ذروة ارتفاعها. وفي هذه الذروة وضعت العبوة الناسفة لتنفجر بعدها وتخلف خراباً سوف يذكره الجميع ربما لازمان بعيدة.

وقال السيد عبد الجليل صالح (٤٥ عاماً): "وصف القزويني سامراء في كتابه آثار البلاد بالقول:

"سامراء اعظم بلاد الله بناءً واهلاً ولم يكن في الارض احسن ولا اجمل ولا اوسع منها" بالعكس من وصف فضائية الجزيرة القطرية التي جعلت من شواذها ودخلائها المخربين ابطالاً ومجاهدين".

المئذنة والحاجة كريمة

الحاجة كريمة امرأة فاضلة يقصد دارها المعوز والفقير واليتيم فلا يرد لهم طلب. تقوم بتدريس القرآن في الجوامع للنساء والفتيات، ولها المام في امور الدين قد يفوق المام اغلب خطباء جوامع المدينة نتيجة عكوفها على القراءة ليل نهار. قصدتها لأعرف مدى ما احدث لديها خبر استهداف المئذنة، وذكرت لي بانها دعتني صبية محجبة للدخول في غرفة الاستقبال. وما هي إلا دقائق حتى ظهرت الحاجة كريمة مبتسمة على الرغم من الاعياء الذي بدا على محياها. كنت ارى في هذه الحاجة الورعة خلاصة مدينة سامراء واهلها من ايمان صادق وكرم لا يوصف، لهذا كان رايها مهماً في الحدث الجلل الذي اصاب المدينة.

كانت اجابتها واضحة وصريحة مستنكرة بشدة كل الاعمال التي تقوم بها جماعات متسترة بثياب الدين والجهاد، وذكرت لي بان الالم لم يبارحها منذ سماعها الخبر وان الاخلاق والدين براء كل البراءة من هؤلاء عندها ايقنت تماماً بان سامراء سترمي بالارهابيين من مدعي الجهاد ومثيري الفتن خارج أسوارها قريباً جداً.

برج بابل والمئذنة

احدهم طلب مني عدم ذكر اسمه وحدثني قائلاً انه قد تناهى إلى سمعه ومن اوساط مقربة من الارهابيين انفسهم بانهم ارادوا التعرض لهذا الصرح التاريخي.

محاكاة لما قامت به حكومة طالبان في افغانستان عندما اقدمت على تحطيم التماثيل الحجرية الضخمة لبوذا.

وفي سامراء ارادوا تحطيم المئذنة الملوية باستخدام نفس الحجج التي تمثلت بان وجود الاصنام ما هو الا شرك بالله، فاعتبرت الملوية بانها عمارة تمثل "اللا هوت"! وانها من صنع جبروت الانسان الذي اراد التطاول والوصول إلى الخالق في السماء، كما تحدثت الاساطير عن برج بابل ويقال ان منفذي العملية ارهابيان احدهما افغاني والآخر من التكفيريين الذي يسكنون في سامراء.

التقيناه في مكتبه في المتحف العراقي في الصالحية لنسأله عن الشعور الذي انتابه وبقية المختصين بالتراث عندما سمعوا نبأ تفجير قمة المئذنة فرد علينا بالقول:

الم شديد شعرنا به كمختصين في التراث وكمواطنين ايضاً. ولا اخفي شعورنا بالتقصير في عدم بذل الجهد الكافي في حماية الذاكرة الجمعية. ولكن عند التمعن في الموضوع تجد باننا ليست لنا صلة، فالموقع محتل بشكل كامل من قبل القوات المتعددة الجنسيات، وقد تم منع مفتشي الآثار من القيام بمهمات عملهم او الدخول إلى المناطق الاثارية للكشف عليها وبيان ما تعرضت له من اضرار بسبب وجود هذه القوات.

في السابع عشر من الشهر الماضي اعلمتنا القوات المتعددة الجنسيات بانها قد تركت الموقع في سامراء وبدأنا بالتحري والتفتيش ودراسة الموقع لمعرفة الاضرار. وقد لاحظنا وجود بعض التلفيات وقدمنا قائمة متكاملة بتلك الاضرار وفي يوم الجمعة المنصرم علمنا ان جزءاً من قمة المئذنة قد دمر بواسطة تفجير على يد مجهولين. فاوفدنا إلى الموقع مختصين بالاثار وجاء في تقريرهم ان الجزء العلوي من المئذنة كان قد استخدم برج مراقبة وقيل ان قناصة القوات المذكورة قد اتخذوا منه مكمناً لهم.

وعن وصف الاضرار قال الدكتور عبد العزيز.

(التلفيات كانت في قمة المئذنة وبعرض اربعة امتار ومن حسن الحظ لم يصل التدمير إلى الاقواس او ما يطلق عليها بالعقود. وهنا لا بد من ان نذكر ان اعداداً كبيرة من اهالي مدينة سامراء اعربوا عن اسفهم وطلبوا الموافقة على ان تتسلم منهم مساعدات مالية وعينية لاعادة هذا البناء. وهذه المبادرة لا يمكن وصفها إلا بانها شعور وطني احيل وختم قوله أن دائرته سوف تعمل على صيانة ما دمر وبأسرع وقت ممكن.

متحف التاريخ الطبيعي في الموصل

محنطات مستسلمة لمصير ما بعد الموت

الموصل / مكتب المدى / نوزت شمدين

في قلب مدينة الموصل وبالتحديد في الجهة الشمالية من حديقة الشهداء تقع بناية متحف التاريخ الطبيعي الذي مثل ولعقود طوال الخيار الوحيد المتاح أمام أبناء المدينة من طلاب ومهتمين للإطلاع على عالم الطبيعة بجماله وغرائبه وذلك بعد أن عجزت إدارات المحافظة المتعاقبة عن توفير حديقة حيوانات صغيرة تضيفها إلى معالم المدينة أو في الأقل اهتمام بسيط بهذا المتحف الذي بقي تحت وصاية جامعة الموصل دونما أي اهتمام وظل مغلقا طوال عامين وهو يعاني الاندثار تحت وطأة الرطوبة والإهمال والاقتحامات الليلية بتحطيم أبوابه بحثاً عن أحياء بين محنطاته التي تتفسخ يوما بعد يوم.

موظف واحد وأبواب موصدة

على مقربة من المتحف المحاط بالأسلاك الشائكة والحواجز الكونكريتية المخصصة لحماية محاكم استئناف منطقة نينوى ومديريتي الشرطة والبلدية التقينا السيد صالح عبد القادر أحمد وهو الموظف الوحيد الباقي مع محنطات المتحف ، سألناه عن واقع المتحف وعن معنى إبقائه في مكانه الحالي دون إيجاد مكان آخر يتمكن فيه الناس من زيارته بأمان ؟ فقال:

- منذ ثلاثة عشر عاماً وأنا أعمل في هذا المتحف الذي كان يفتح أبوابه أمام مختلف الشرائح في المجتمع الموصلي، فإضافة إلى العوائل التي كانت تجلب أطفالها لمشاهدة معروضاته كان المتحف يستقبل طلاب المدارس ورياض الأطفال حتى طلاب الجامعات والمعاهد لكنه ومنذ عامين مغلق ويعاني إهمالاً شديداً ولا يكترث له أحد بالرغم من مطالبتي المستمرة لجامعة الموصل ممثلة بكلية علوم الحياة، بصفتها المسؤولة عن المتحف، بانتشاله من هذا الوضع المزري الذي هو عليه الان، وفي كل مرة يقولون إنهم سينقلونه إلى مكان آخر داخل أسوار الجامعة لكن ذلك لم يحدث أبدا، كما لم يبق فيه موظف سواي إذ نقل الجميع إلى جامعة الموصل باستثنائي، علما أنني وفي أحداث عام ٢٠٠٣ بقيت في المتحف وحافظت على موجوداته من السرقة والعبث كجزء من واجبي تجاه بلدي ولم أنتظر مكافأة من أحد.

الرطوبة والتفسخ يهددان محنطات المتحف

المتحف عبارة عن قاعتين الأولى مخصصة للطيور وبيضها وهي موزعة بأنواع وأحجام مختلفة، والثانية لمختلف أنواع الحيوانات ابتداء من الدب مرورا بالأفاعي والأسماك وانتهاء بأجنة مشوهة بعضها بشري محفوظة في زجاجات مملوءة بالفورمالين؟.

أتت الرطوبة على كل شيء في المتحف وأصابت جدرانه وسقوفه بتقشرات طلائية، ويمكن أن يستشعر المرء وبسهولة من خلال نظرة سريعة على معروضات المتحف بأن الكثير منها أخذ يتفسخ أو يتكسر جراء الإهمال. أخبرنا السيد صالح ونحن ندخل قاعة الطيور:

- الكثير من هذه الطيور كانت تعيش في العراق مثل النسر الأسود والبجع (نعجة الماء) !، ولكن لا يمكن أن تجد أياً منها الآن إما بسبب الاصطياد العشوائي لها أو لأنها نقلت موطن هجرتها إلى أماكن أخرى جراء الحروب التي حدثت على طول البلاد وعرضها خلال العقود الماضية . حتى هذه أيضاً يتساقط ريشها وتتفسخ بسبب عدم وجود أجهزة تبريد وتدفئة، ومتحفنا لا يحتوي حتى على مبردة هواء عادية!.

في القاعة الثانية كان الوضع أكثر بؤساً جراء الرطوبة وتهشم زجاج عرض العديد من الحيوانات بسبب الرصاصات الطائشة أو شظايا انفجارات قريبة من البناية . توقف السيد صالح وسط القاعة وأشار إلى رف طويل عليه قوارير تحوي أجنة حيوانية وبشرية مشوهة:

- السوائل في هذه القوارير تتناقص وحتما فأن النماذج التي بداخلها سوف تتلف عما قريب، ولقد طلبت ولمرت عديدة من كلية العلوم توفير (الفورمالين والكحول) لأنها إضافة الى الماء تكون السائل الذي تحفظ فيه الأسماك والثعابين والنماذج الأخرى كما أن المتحف بحاجة إلى متخصص في السوائل لكن يبدو أن الأمر خارج اهتماماتهم!.

ما الحل؟

السيد صالح اشار إلى إمكانية فتح أبواب المتحف من جديد أمام الزائرين وبأجور رمزية يمكن من خلالها ترميم المتحف مع موجوداته إذا كان المسؤولون عنه غير قادرين على الأنفاق عليه. أما إذا كان الأمر يتعلق بسوء الوضع الأمني للمنطقة التي هو فيها فبالإمكان نقله إلى مكان آخر. كانت الجملة الاخيرة التي قالها الرجل المتشبث بامكانية الحل: لا أعتقد بان المحافظة تفتقر إلى بناية صغيرة ننقذ بها متبقيات المتحف!